

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد و على أهل بيته الطيبين الطاهرين.

قال الله تعالى في محكم كتابه الحكيم: « وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ »<sup>1</sup>.

ركز الإسلام من خلال القرآن الكريم و سيرة النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) على أهل البيت (عليهم السلام) و بين مكانتهم و منزلتهم و عظمتهم و فضلهم على جميع الناس حتى على الأنبياء ما عدا خاتمهم الحبيب المصطفى (صلى الله عليه و آله و سلم)، و خير مثال على ذلك آية التطهير و آية المباهلة و سورة الدهر، و كذلك أحاديث الغدير و المنزلة و السفينة و غيرها من الآيات و الأحاديث و الروايات الكثيرة.

و رغم هذا نجد عدول الأمة عن الأئمة (عليهم السلام) و من أبرز أسباب هذا العدول جهل الناس بحقيقة أهل البيت (عليهم السلام) من هم ما هي مكانتهم ما هي أفكارهم؟

أخلاقهم و مناهجهم؟ لا يعرفون عنهم إلا أنهم ذرية رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ليس أكثر من ذلك. و هذا لا يقتصر على المتقدمين أو على أهل غير إطار التشيع و إنما حتى على من ينتمي إلى هذا الإطار. و هذا دليل على النقص في معلوماتنا الدينية، فأهل البيت (عليهم السلام) لا نتعامل معهم كأشخاص عاديين و إنما نتعامل معهم كمدرسة فكرية للإسلام، فأبي نقص في فهمنا لهم (عليهم السلام) و هو نقص في الصورة الإسلامية كما في حديث الثقلين:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): «إني قد تركت فيكم الثقلين واحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتي أهل بيتي، إلا أنهما لن يفترقا حتى يردوا علي الحوض» أي أن الدين لا يكتمل إلا بالعترة الطاهرة (عليهم السلام)، و دراستنا لأهل البيت (عليهم السلام) ليست فقط كجانب تاريخي في استعراض حياتهم و ظروفهم و أدوارهم و إنما القضية قضية اعتقاد مرتبط بدين الفرد بالدرجة الأولى، فالدين لا يمكن أن نأخذه بشكل كامل إلا بمعرف سيرة و مواقف أهل بيت العصمة (عليهم السلام) تماما مثلها إنسان يجهل سنة رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لا تكتمل صورة الدين في ذهنه لأن القرآن الكريم رسول الخطوط العامة فجاءت السنة فأكملت لنا صورة الدين « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا »<sup>2</sup> و قال تعالى: « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »<sup>3</sup> و أهل الذكر هم أهل البيت (عليهم السلام).

إذن فالكتاب و السنة أحالا على العترة الطاهرة (عليهم السلام) حتى تكتمل الصورة الإسلامية عند المسلم.

و قد تناولنا في هذا البحث مكانة، دور، ذكر أهل البيت (عليهم السلام) في نهج البلاغة لتأمل في الجوانب المشرقة لهذه الشخصيات المقدسة من خلال خطب و كلمات علي بن أبي طالب (عليه السلام)، و

<sup>1</sup> . سورة الانبياء، الآية: 73.

<sup>2</sup> . سورة الحشر، الآية: 7.

<sup>3</sup> . سورة النحل، الآية: 43.

حاولنا إلقاء الضوء على مضامين و دلالات كلماته (عليهم السلام) في هذا المعنى لكشف ظلمات الجهل بحقيقة أهل البيت (عليهم السلام) و بيان بعض الحقائق التي عمد البعض و على مر العصور إلى إخفائها عن الناس و ذلك لإبعادهم عن أعظم مدرسة فكرية في الإسلام. سائلين المولى عزوجل التوفيق و القبول.

الشيخ حيدر فاضل الشكري  
**(1) - «لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة. إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبياناته»<sup>4</sup>.**

لقد ورد هذا المعنى في أحاديث و روايات أهل بيت العصمة (عليهم السلام) و منها ما جاء في علل الشرايع بإسناده عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: «لو بقيت الأرض بغير إمام ساعة لساخت»<sup>5</sup>.

و بإسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قلت له: تكون الأرض و لا إمام فيها؟ فقال: «إذا لساخت بأهلها»<sup>6</sup>.

إن ضرورة وجود قائم لله بحجة تكمن في أن حجة الله على عباده لا تتم إلا بأمرين يكمل أحدهما الآخر: الأمر الأول: الحجة الدستورية و هو القرآن الكريم.

والأمر الثاني: و هو الحجة البشرية المعصومة كشخصية النبي (صلى الله عليه و آله وسلم).  
فلو أن الله عزوجل أنزل كتاباً معلقاً بين السماء و الأرض و دعمه بأية من الآيات تدل على أنه من الله تعالى مع ذلك لا تتم الحجة، لماذا؟

اقتضت حكمة و مشيئة الله تعالى أن تكون هناك حجة بشرية معصومة إلى جانب الحجة الدستورية و ذلك لأمرين يقتضيان هذا المعنى؟

**أولاً:** أن الكتاب المنزل من السماء يتضمن الخطوط الرئيسية فهو بحاجة إلى بشر معصوم ناطق يتكلم و يشرح مجملات الكتاب و يرد المتشابه إلى المحكم و يوضح تطبيقات الكتاب.

**ثانياً:** أن الكتاب المنزل هو لإقامة النظام الاجتماعي و السياسي و الإداري فط الأمة و إقامة هذا النظام موقوف على قائد معين من قبل الله تبارك و تعالى، فيقوم رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) بوصفه أنه ولي الله يقوم بوظيفته كقائد للأمة.

و لا يخفى ما في هذا الكلام لأمر المؤمنين (عليه السلام) من دلالة واضحة على قضية الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) و يعضده ما جاء من الأحاديث و الروايات عن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) و أهل بيته (عليهم السلام)، و قد رواها الفريقان و منها ما جاء في بحار الأنوار عن الصدوق بسنده عن جابر الجعفي عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم): المهدي من ولدي اسمه أسمى، وكنيته كنيته، أشبه الناس بي خلقاً و خلقاً، يكون له غيبة و حيرة تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثامن يملأها عدلاً و قسطاً كما ملئت ظلماً و جوراً<sup>7</sup>

<sup>4</sup> . شرع النهج / لابن أبي الحديد 18:347، الكلمات القصار: 143.

<sup>5</sup> . البحار: 21:23.

<sup>6</sup> . نفس المصدر السابق.

<sup>7</sup> . البحار، 36:309.

(2) - «ألا إنَّ مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء. إذا خوى نجم طلع نجم»<sup>8</sup>.

«خوى»: أي مال للمغيب (خوى)<sup>9</sup>: من مادة (خوي) بمعنى: (غرب).

أي أن الأرض لا يمكن أن تخلو من معصوم من العترة الطاهرة (عليهم السلام) كما ورد في حديث الثقلين الذي رواه العامة والخاصة، و ممن رواه من العامة ابن حجر في الصواعق المحرقة ونقله بألفاظ متعددة عن أحمد في مسنده و عن الترمذي و عن مسلم و الطبراني: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أيها الناس يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، و إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، الثقلين: كتاب الله و عترتي أهل بيتي، فلا تقدموهما فتهلكوا و لا تتأخروا عنهما فتهلكوا، و لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، و أن اللطيف الخبير أخبرني أهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»<sup>10</sup>.

هناك مجموعة من الدلالات في هذا النص لأمير المؤمنين (عليه السلام):

1 - شبه الإمام (عليه السلام) أهل البيت (عليهم السلام) بنجوم السماء. و يستفاد من هذا أن الهداية لا تحقق إلا في ظل هدي آل الرسول (عليهم السلام) كما أن النجوم كان يهتدي بها الناس في سفرهم في البر و البحر في ظلمات الليل. حين قال تعالى: «وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ»<sup>11</sup>، وقوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»<sup>12</sup>.

2 - كما أن السماء لا تخلو لياليها من النجوم فكلما غابت نجمة طلعت أخرى، فأهل البيت (عليهم السلام) كذلك كما رحل إمام بعده إمام إلى قيام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

3 - هذا النص يشير إلى الحديث النبوي المشهور حيث قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، و أهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف»<sup>13</sup> رواه النيسابوري من علماء العامة في كتاب المستدرك عن ابن عباس و قال هذا حديث صحيح الإسناد.

و رواه ابن حجر في صواعقه بهذا اللفظ: «النجوم أمان لأهل السماء و أهل بيتي أمان لأمتي»<sup>14</sup>.

وهذه الدلالة تبين أن أهل البيت (عليهم السلام) أمان لهذه الأمة من الاختلاف والفرقة.

(3) - «انظروا إلى أهل بيت نبيكم فألزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن

يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا، و أن نهضوا فانهضوا ولا تستبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا»<sup>15</sup>.

«السمت»: يعني الطريق<sup>16</sup>.

<sup>8</sup> . شرح النهج، لابن أبي الحديد، 7: 84، خطبة 99.

<sup>9</sup> . لسان العرب، 5: 186.

<sup>10</sup> . ابن حجر في صواعقه: 230.

<sup>11</sup> . سورة النحل، الآية: 16.

<sup>12</sup> . سورة الأنعام، الآية: 97.

<sup>13</sup> . مستدرك الحاكم، 14: 3.

<sup>14</sup> . ابن حجر في صواعقه: 283.

<sup>15</sup> . شرح النهج، لابن أبي الحديد، 7: 76، خطبة 96.

«لبدوا»: من مادة (لبود) الإقامة في المكان<sup>17</sup>.

المراد بأهل البيت (عليهم السلام) هنا هم أئمة العصمة (عليهم السلام) الذين قال فيهم الحق تبارك وتعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»<sup>18</sup>.

يشير الإمام (عليه السلام) هنا إلى حديث الثقلين الذي ذكرناه سابقاً والذي يؤكد على التمسك بالقرآن والعترة الطاهرة (عليهم السلام) اللذان لن يفترقا حتى يرثي الحوض، منهما طريق الهداية لهذه الأمة وهما طريق الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة. وكذلك ما ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) من الروايات ومنهما:

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا عمّار إن رأيت عليّاً قد سلك وادياً و سلك الناس كلهم وادياً آخر فاسلك مع علي، فإنه يدليّك في ردى و لن يخرجك من هدى»<sup>19</sup>.

من مناقب الخوارزمي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه الإمام محمد بن علي الباقر، عن أبيه الإمام جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه الإمام محمد بن علي الباقر، عن أبيه الإمام الحسين، عن أبيه الإمام الحسين بن علي الشهيد (عليهم السلام) قال: «سمعت جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: من أحب أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنة التي وعدني ربي فليتول علي بن أبي طالب (عليه السلام) وذريته الطاهرين أئمة الهدى، ومصابيح الدجى من بعده، فإنهم لم يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة»<sup>20</sup>.

أمير المؤمنين (عليه السلام) يأمر بالتزام طريقهم واتباعهم في كل الأمور إن كان في الإقامة على أمر أو النهوض بالحرب، وذلك على اعتبار أن لكل إمام دور معين يقوم به وفق ما تقتضيه مصلحة الدين. فمثلاً نجد في سنة 41 هـ اقتضت الحكمة والمصلحة أن يصلح الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) معاوية للحفاظ على الدين، ولكن بعد مرور عشرين سنة أي في 61 هـ اقتضت الحكمة والمصلحة أن يقوم الحسين (عليه السلام) ضد يزيد بن معاوية لأن بقاء الدين آنذاك مرهون بالقيام وبذل الدماء.

وهكذا نجد أن أدوار أئمة العصمة (عليهم السلام) اختلفت حسب الظروف الزمانية والمكانية والتي هي في تغير مستمر والأمة (عليهم السلام) هم أعلم الناس بهذه الظروف.

ثم أن الإمام (عليه السلام) يقول: «ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا»، أي: لا تسرعوا فيها تتأخوا به فتضلوا أو تتأخروا في أمر يوجب عليكم التقدم فتهلكوا، وفي هذا إشارة إلى حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما قال: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من دخلها نجا، ومن تخلف عنها غرق»<sup>21</sup>. وقد ورد هذا الحديث في مصادر الفريقين.

فكما كانت سفينة نوح (عليه السلام) هي الوسيلة الوحيدة للنجاة من الطوفان، فكذلك أهل البيت (عليهم السلام) هم الوسيلة الوحيدة للنجاة من الضلال الذي يوجب العذاب الأخرى.

<sup>16</sup>. لسان العرب، لابن منظور 1:779.

<sup>17</sup>. المصدر السابق، 2:766.

<sup>18</sup>. سورة الأحزاب، الآية: 33.

<sup>19</sup>. فراند السمطين: 1:178، كنز العمال: 12:212، مناقب الخوارزمي: 75:124، تاريخ بغداد: 13:186-187.

<sup>20</sup>. البحار، 23:76.

<sup>21</sup>. البحار: 23:120-121.

وأما دلالات هذه الصفات التي ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) لأهل البيت (عليهم السلام) فنستطيع أن نلخصها بما يلي:

- 1 - إنها دليل على مقام العصمة لهم (عليهم السلام).
- 2 - إن الإمامة لا تصح لغير أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فليس هناك في الناس من يحمل العصمة فيكون جديراً بأن تقتدي الناس به وتسلم له أمر دينهم ودنياهم.
- 3 - الوصية هنا بالولاية الحقيقية لأهل البيت (عليهم السلام) في إطاعتهم وامتنال أوامرهم في كل شيء على مستوى القول أو على مستوى الفعل.
- 4 - وصية الإمام (عليه السلام) ليست خاصة بزمن معين بل هي لكل العصور والأجيال.

**(4) - «إنما الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه. ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه»<sup>22</sup>.**

«قوام»: يقال قيم المنزل: أي المدبر له. وقوام هنا أي أن الأئمة (عليهم السلام) هم الذين يقومون بتدبير شؤون الخلق ويقومون بمصالحهم من قبل الله تعالى.

«وعرفاؤه على عباده»: عرفاء: جميع عريف بمعنى رئيس القوم الذي يدير أمورهم ويعرفه جميعهم. فأهل البيت (عليهم السلام) يعرفون الخلق وعندهم علم بمصالح ومفاسد الناس وعلم بكل ظروفهم الزمانية والمكانية.

وقوله (عليه السلام): «ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه»، فهو تأكيد لما ذكره (عليه السلام) في العبارات السابقة:

ومثل هذه المقامات الرفيعة لا توجد إلا عند من اختاره الله عز وجل وليس عند من يختاره الناس. ورد في الحديث الشريف أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لأئمة المؤمنين (عليهم السلام): «ثلاثة أقسم أنهن حق: إنك والأوصياء من بعدك عرفاء، لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتكم، وعرفاء لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، لا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه»<sup>23</sup>.

إن أهم ما نستدل عليه من هذه الكلمات لأئمة المؤمنين (عليهم السلام)، أن هذه المقامات هي نفسها ما يتصف بها رجال الأعراف. قال تعالى: «وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ»<sup>24</sup>. يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان: (على أن ما يصفهم الله تعالى به في الآيات التالية من الأوصاف ويذكرهم به من الشؤون أمور تآبى إلا أن يكون القائمون به من أهل المنزلة والمكانة وأصحاب القرب والزلفى...) إلى أن يقول: (إنهم جعلوا على الأعراف ووصفوا بأنهم مشرفون على أهل الجمع عامة، ومطلوبون على أصحاب الجنة وأصحاب النار يعرف كل إنسان منهم بسميماه الخاص به ويحيطون بخصوصيات نفوسهم وتفاصيل أعمالهم)<sup>25</sup>.

وينقل السيد الطباطبائي في هذا المقام روايات أهل بيت العصمة (عليهم السلام) والتي تبين بأن رجال الأعراف هم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومنها:

<sup>22</sup> . شرح النهج، لابن أبي الحديد، 5: 152، خطبة: 152.

<sup>23</sup> . خصال الصدوق، باب الثلاثة، ح 183.

<sup>24</sup> . سورة الأعراف، الآية: 43.

<sup>25</sup> . الميزان، للطباطبائي، 8: 125.

في البصائر بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله (عليه السلام): « وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَاهُمْ » قال: «نحن أصحاب الأعراف من عرفنا فمآله إلى الجنة ومن أنكرنا فمآله إلى النار». وفيه بإسناده عن الأصمغ بن نباته قال: كنت عند أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له رجل: « وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَاهُمْ » فقال له علي: «نحن الأعراب نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه. وذلك قول الله عزوجل». وفي المجمع روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده رفعه إلى الأصمغ بن نباته قال: كنت جالساً عند علي (عليه السلام) فأتاه ابن الكواء فسأله عن هذه الآية فقال: «ويحك يا ابن الكواء نحن نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن نصرنا عرفناه بسيماهم فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماهم فأدخلناه النار»<sup>26</sup>.

**(5) - «نحن الشعار والأصحاب والخزانة والأبواب، ولاتوتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً»<sup>27</sup>.**

«الشعار»: ما يلي البدن من الثياب فهو أقرب من سائرهما إليه<sup>28</sup>. أي أن أهل البيت (عليهم السلام) أحض الناس وأقربهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم). «والخزانة والأبواب»: يعني هم خزنة العلم وأبوابه فهم ورثة علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكل من يريد أن يقتدي بهديه (صلى الله عليه وآله وسلم) أو يريد أن ينال من تعاليمه (صلى الله عليه وآله وسلم) لا بد له (عليه السلام) أن يمر من خلالها. ثم قال (عليه السلام): «ولا توتى البيوت إلا من أبوابها»، قال تعالى: «لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا»<sup>29</sup>. وفي هذا إشارة إلى ما ورد في حق علي (عليه السلام) من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: «أنا مدينة العلم و علي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»<sup>30</sup>، ثم قال (عليه السلام): «فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً».

يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج: (وهذا حق ظاهراً وباطناً: أما الظاهر فلأن من يتسور البيوت من غير أبوابها هو السارق، وأما الباطن فلأن من طلب العلم من غير أستاذ محقق فلم يأت من بابها؛ فهو أشبه شيء بالسارق»<sup>31</sup>.

عن ابن جبير قال: سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن قول الله عزوجل: « فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ » فقال: «أنا السور، وعلي الباب، وليس يؤتى السور إلا من قبل الباب»<sup>32</sup>.

<sup>26</sup> .الميزان للطباطبائي، 8:147.

<sup>27</sup> . شرح النهج، لابن أبي الحديد، 9:164، خطبة: 154.

<sup>28</sup> . لسان العرب، 8:91 باختصار وتصرف.

<sup>29</sup> . سورة البقرة، الآية: 189.

<sup>30</sup> . مناقب علي بن أبي طالب، لابن المغازلي الشافعي: 101، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي 11:48.

<sup>31</sup> . شرح النهج 1:164.

يقول العلامة المجلسي في بحاره: (لعل المعنى أن السور والباب في الآخر صورة مدينة العلم وبابها في الدنيا، من أتى في الدنيا المدينة من الباب يكون في الآخرة مع من يدخل الباب إلى باطن السور، فيدخل في رحمة الله، ومن لم يأتها في الدنيا من الباب ولم يؤمن بالوصي يكون في الآخرة في ظاهر السور في عذاب الله»<sup>33</sup>.

**(6) - «فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا»<sup>34</sup>.**  
القرآن كله كريم و آياته كريمات ولكن هنا يراد بالآيات الكريمات التي نزلت بشأن أهل البيت (عليهم السلام)، فهذه الآيات كرائم من كرائم و هذا ما ذهب إليه ابن أبي الحديد وجمع من القدماء وتابعهم الشيخ محمد عبده<sup>35</sup>.

و قد يكون المعنى هو أنهم (عليه السلام) القرآن الناطق وهم ترجمانه حيث أنهم جسدوا آيات القرآن الكريم بأفعالهم وأفعالهم وفي كل علومهم ومعارفهم.

ويقول الإمام (عليه السلام): «وهم كنوز الرحمن»: الكنز اسم للحال إذا أحرز في وعاء. وقيل: الكنز المدفون. وقيل: وتسمي العرب كل كثير مجموع يتنافس فيه كنزاً<sup>36</sup>.

وما أورد هذا التشبيه حيث أن الإمام علي (عليه السلام) شبه أهل البيت (عليهم السلام) بكنوز الرحمن التي أدخرها لعباده لحل مشكلاتهم ولإيضاح ما التبس عليهم ولكل ما يحتاجونه في أمور الدين والدنيا وذلك لما عندهم من أحكام الله تعالى وتعاليم السماء، وكذلك لما عندهم من ظاهر وباطن القرآن الكريم.

وفي الإتقان للسيوطي يقول عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن و أن علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن»<sup>37</sup>.

ثم قال (عليه السلام): «إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا»: أي أن منطقتهم الصدق فقد طهرهم الله تعالى من كل الدنائس والأرجاس ومنها الكذب كما في آية التطهير: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ النَّبِيِّ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»<sup>38</sup>.

ثم أنهم (عليه السلام) الصادقون في قوله تعالى: «كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»<sup>39</sup>. كما فسرت لنا ذلك الروايات الواردة في مصادر العامة والخاصة ومنها:

<sup>32</sup> . البحار 277:24، باب الآيات الدالة على رفعة شأنهم.

<sup>33</sup> . البحار 277:24.

<sup>34</sup> . شرح النهج، لابن أبي الحديد، 9:175، خطبة: 154.

<sup>35</sup> . شرح النهج، لابن أبي الحديد 9:176، المحاسن 1:154، شرح الأخبار: 353.

<sup>36</sup> . لسان العرب، لابن منظور 4:92.

<sup>37</sup> . الإتقان، للسيوطي 4:493.

<sup>38</sup> . سورة الأحزاب، الآية 33.

<sup>39</sup> . سورة التوبة، الآية 119.

العلامة الثعلبي في تفسيره فقد روى: أن ابن عباس قال في تفسيره هذه الآية: (مع الصادقين يعني مع علي بن أبي طالب وأصحابه)<sup>40</sup>.

ينقل العلامة الكنجي في (كفاية الطالب) والعلامة سبط بن الجوزي في (التذكرة) عن طائفة من العلماء مايلي: قال علماء السير معناه كونوا مع علي (عليه السلام) وأهل بيته، قال ابن عباس: علي (عليه السلام) سيد الصادقين<sup>41</sup>.

عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال في تفسير آية (كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ): «يعني محمد و آل محمد»<sup>42</sup>.

روى بريد بن معاوية عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير هذه الآية أنه قال: «إيانا عنى»<sup>43</sup>. وفي تفسير البرهان ينقل من كتاب نهج البيان: روي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سئل عن الصادقين فقال: «هم علي وفاطمة والحسن والحسين وذريتهم الطاهرون إلى يوم القيامة»<sup>44</sup>.

وقال الإمام علي (عليه السلام): «وإن صمتوا لم يسبقوا»: أي أن صمتهم لا يعني أنهم عاجزون عن الإجابة، بل إن صمتهم على سوء الحكمة والمصلحة ولا يمكن لأحد أن يسبقهم أبداً. وكما هو معروف بأن الصمت في بعض الأحيان خير من الكلام، بل نستطيع أن نقول بأنه قد يكون كلاماً فعلاً.

ومن هنا نستدل و من خلال كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) عن غير هم بهذه الصفات وهذه المنزلة فلا يمكن لأحد أن يداينهم بشرف أبداً.

و هذا في الواقع يوجب إبتاعهم والسير وفق سيرتهم الطيبة الطاهرة روفق منهجم في الحياة.

**(7) - «لا يقاس بأل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد، ولا يسوي بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، و عماد اليقين. إليهم يقىء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والورثة»<sup>45</sup>.**

يقول الإمام (عليه السلام): «لا يقاس بأل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد»: فهم وكما خاطبهم الحق تبارك و تعالى في كتابة الكريم: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)<sup>46</sup>.

ليس هناك في الأمة من صرح القرآن الكريم بعصمته إلا أهل البيت (عليهم السلام) كما في آية التطهير وغيرها، وليس هناك في الأمة من قرنه النبي (صلى الله عليه وآله) بالقرآن إلا أهل البيت (عليهم السلام) كما في حديث الثقلين. وليس هناك في الأمة من هو نفس النبي (صلى الله عليه وآله) إلا علي بن أبي طالب (عليه السلام) كما في آية المباهلة. إضافة إلى ذلك فليس في الأمة من عنده علوم و معارف أهل البيت

<sup>40</sup> . إحقاق الحق 3:297.

<sup>41</sup> . نفس المصدر السابق.

<sup>42</sup> . نورالثقلين 2:280.

<sup>43</sup> . نفس المصدر السابق.

<sup>44</sup> . تفسير البرهان 2:170.

<sup>45</sup> . شرح النهج/ لابن أبي الحديد 1:138، خطبة 2.

<sup>46</sup> . سورة آل عمران، الآية: 110.

(عليهم السلام) والتي يقصح عنها نهج البلاغة والصحيفة السجادية ورسالة الحقوق. وكذلك ما ورد من الأحكام الشاملة الواسعة عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) بشأن جزئيات المسائل الدينية، وكذلك مناظرات الإمام الرضا (عليه السلام) مع أصحاب الأديان حول مختلف المسائل العقائدية وغيرها من المسائل.

إضافة إلى ذلك يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، في الخطبة الشقشقية: «ينحدر عني السيل»<sup>47</sup>، أي أن نعم الله عز و جل على عباده إنما هي ببركة أهل البيت (عليهم السلام) و على رأسهم أمير المؤمنين (عليه السلام).

هذه هي نعمة أهل البيت العصمة (عليهم السلام) وما أعظمها من نعمة جرت على هذه الأمة! فهل يمكن أن يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه؟!

«هم أساس الدين»: (الأساس): أصل البناء. وأهل البيت (عليهم السلام) هم أصل الدين فهو قائم بهم. و عماد اليقين! هذا يعني أن اليقين الذي يبعث على الطمأنينة في القلوب يعرف بهم (عليهم السلام).  
«إليهم يفىء الغالي وبهم يلحق التالي»: (يفيء): أي يرجع<sup>48</sup>، (الغالي): من (الغلو) أي: تجاوز الحد الذي ينبغي إلى ما لا ينبغي<sup>49</sup>، (والتالي): أي التابع. وهنا يبين الإمام (عليه السلام) أنهم القادة لهذه الأمة، وكل من يتقدم عن هذه القيادة أو يتخلف عنها فهذا يعني الضلال بعينه.

«ولهم خصائص حق الولاية»: أي اقتصار هذا الأمر عليهم (عليهم السلام) فهم أولو الأمر في قوله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)<sup>50</sup>.

أي أن طاعتهم (عليهم السلام) مرتبطة بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله (صلى الله عليه و آله). والغريب أنك تجد من المسلمين من عرف (أولو الأمر) على أنهم الملوك والسلطين وكل من جاء إلى السلطة ولو بطريق غير شرعي، وهذا بالتأكيد لا يصح لأن الله تعالى لا يأمر بطاعة من يجوز عليه الظلم والذنوب والمعاصي، ولا تجري الطاعة التي تذكرها الآية الكريمة إلا لمن كان معصوماً وهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

«وفيهم الوصية والورثة»: أي أن وصية النبي (صلى الله عليه وآله) ووراثته لم تكن لأحد سوى الأئمة المعصومين (عليهم السلام) لما حملوا من الخصائص والمقامات الرفيعة والتي لا يمكن لأحد من الناس بلوغها.

ووصية النبي (صلى الله عليه و آله) بالأئمة من بعده والذين ذكرهم بأسمائهم وألقابهم إنما تعني كل شؤون الدين والدنيا والآخرة.

ومن دلالات كلام علي (عليه السلام):

- 1 – التسوية بين أهل البيت (عليهم السلام) وبين غيرهم باطلة لأن المنعم أفضل من المنعم عليه.
- 2 – أنهم (عليهم السلام) الحق بين المقصر والغالي وأن أي افتراق عنهم من جانب الإفراط والتفريط فهذا يعني الهلكة الدنيوية والأخروية.
- 3 – لو التحق الغالي والتالي بهم (عليهم السلام) لتحققت وحدة المسلمين ولنبتذت الفرقة بينهم.

47 . نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

48 . المعجم الوسيط 2:706، مجمع اللغة العربية ط2، 1973م القاهرة.

49 . لسان العرب / لابن منظور 8:572-573 بتصرف.

50 . سورة النساء، الآية: 59.

(8) - «هم موضع سره، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه»<sup>51</sup>.

«تتلجأ»: أي الملجأ، والموئل: أي المرجع<sup>52</sup> من آل يؤول إلى كذا إذا رجع وانتهى إليه.  
«والانحناء»: أي الاعوجاج، والفرائص: جمع فريصة وهي اللحمة التي بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة<sup>53</sup>.

والضمائر هنا كلها راجعة إلى الله تعالى إلا الضمير في ظهره وفرائصه فإنهما إما أن تكونا عائدين للرسول (صلى الله عليه وآله) أو إلى الدين. وقيل بأن كل الضمائر راجعة إلى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله).

«هم موضع سره»: إحاطتهم بالأسرار الإلهية كونهم ينهضون بمسؤولية زعامة الدين وإمامة الأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وهذه الأسرار هي عبارة عن علوم لا يحتملها غيرهم (عليهم السلام).  
«ولجأ أمره»: مرجع الأمة إليهم (عليهم السلام) وتلقي أوامرهم وامتنال تعاليمهم ووصاياهم الخاصة بالأوامر التشريعية.

«وعيبة علمه»: أي أنهم (عليهم السلام) وعاء علوم الله سبحانه تعالى من أسرار وأوامر ومن جميع العلوم اللازمة لهداية الأمة، فهم خزنة هذه العلوم وعلى الأمة الرجوع إليهم في الاختلافات على المستوى الفكري أو القضائي لغرض نبذ الفرقة والهداية إلى سواء الصراط.

«وموئل حكمه»: أي مرجع حكمه بما يخص فلسفة وحكمة الأحكام الإلهية والتي هي من علوم الأنبياء والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، ولعل المراد هنا مطلق الأحكام الشرعية أو خصوص الحكم بمعنى القضاء.

«وكهوف كتبه»: بمعنى أن كل الكتب السماوية موجودة عندهم (عليهم السلام)، وكما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «يا معاشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سبط العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا ما زقني رسول الله زقاً زقاً، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو تبيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت: أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فنقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً، فهل فيكون أحد يعلم ما نزل فيه؟ ولولا آية في كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)<sup>54</sup>.

51. شرح النهج / لابن أبي الحديد 1:138، خطبة 2.

52. لسان العرب 15:138.

53. لسان العرب 11:159.

54. البحار 10:118، ح 1.

«وجبال دينه»: إشارة إلى ما ورد في القرآن الكريم بشأن خصائص الجبال ودورها في حفظ استقرار الأرض ونزول البركات والخيرات كما في قوله تعالى: (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)<sup>55</sup>.

والواقع أن الجبال تقوم باحتواء الضغوط المسلطة على الأرض من بطنها وظاهرها وبالتالي فهي معين لا ينضب من المعادن النفيسة.

ثم يواصل الإمام (عليه السلام) كلامه فيقول: «بهم أقام انحناء ظهره وأذهب ارتعاد فرائصه»، فأما انحناء ظهره فهي كناية رائعة لشدة المعضلات التي طالت الدين من قبل الأعداء العلماء والأصدقاء والجهلاء، فانبرى لها أهل البيت (عليهم السلام) ليقفوا الدين شامخاً لا يناله تحريف المنحرفين ولا فتن المبطلين، والتعبير «ارتعاد فرائصه» فهي كناية لطيفة عن الاضطراب والاختلال الذي يطيل الدين من قبل المدارس الإلحادية والانحرافات الدينية والتي وقف بوجهها أئمة الهدى (عليهم السلام) ليقضوا عليها ويعيدوا للدين صبغته الحقيقة الناصعة.

ومن هنا يتبين لنا ما يلي:

1 - إن كل ما يحتاجه الناس في كل عصر وزمان بما يحض أمور دينهم وديناهم سيجدونه عند أهل البيت (عليهم السلام).

2 - إن من يحمل هذه المعارف والعلوم الإلهية كأن كانت غيبية أو تشريعية أو قضائية وإحاطته بكل ما أنزل من الرسالات السماوية فهو الأولى بإمامة الناس دينياً وسياسياً؛ لأنه سيكون المرجع والملاذ لكل الناس مع اختلاف ظروفهم الزمانية والمكانية.

3 - إن من حفظ أصالة الدين هم أئمة هذا البيت الطاهر (عليهم السلام) ولو لاختلطت أوراق الحق مع أوراق الباطل، وذلك من خلال مواقفهم بوجه الباطل والمبطلين والمنحرفين والمدارس الضالة والتي نشأت وخاصة بعد اتساع رقعة البلاد الإسلامية حيث دخلت الخرافات والأساطير والعقائد الفاسدة والتفاسير المشبوهة التي أوردها الغلاة والغلاة للنيل من الإسلام المحمدي الأصيل.

ومثال على ذلك: أننا لو تصفحنا تأريخ الفرق والمذاهب الإسلامية البعيدة عن أهل البيت (عليهم السلام) لرأينا الانحراف العقائدي الخطير من قبيل السقوط في شبك الجبر والتفويض والتشبيه والإلحاد في أسماء الله وصفاته وهناك من الفرق من هبطت بالذات الإلهية المقدسة فوصفته بأنه شاب أمرد صبيح الوجه عليه كساء أسود، وممن تبني هذا الفكر الفاسد مدرسة ابن تيمية والتي سار على نهجها الوهابيون الذين يمثلون اليوم شوكة في قلب الإسلام والمسلمين.

4 - إن أهل البيت (عليهم السلام) مصدر حفظ وسكينة الأفكار وري القلوب وإغناء الأمة بما يختزنونه من معادن نفيسة. كما أنهم (عليهم السلام) معتصم وملاذ من وصمات الشياطين و تبديلهم وتحريفهم مثلما يعتصم الخائف بالجبل ممن يؤديه.

**(9) - «فأين تذهبون! وأنى توفكون، والإعلام قائمة والآيات واضحة، والمنار منصوبة! فأين يتاه بكم! وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم! وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق! فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش»<sup>56</sup>.**

<sup>55</sup> .سورة النحل، الآية: 15.

<sup>56</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 6:373، خطبة 186.

«تؤفكون»: أفك: بمعنى أنصرف والمعنى يكون إلى أين تنصرفون عن الحق.  
«الأعلام»: جميع (علم) وأصله الجبل أو شيء ينصب في الفلوات تهتدي به الضلالة<sup>57</sup>، والمراد أعلام الحق التي يستدل بها عليه والآيات الدالة على رضا الله تعالى وأمره ونهيه واضحة لا لبس فيها.  
«والمنازل منصوبة»: (المنازل) هو المحل الذي يوضع عليه السراج<sup>58</sup> ليلاً للاهتداء نحو الطريق والمراد به الجنس ولذا قال (عليه السلام) «منصوبة» موجودة.  
«فأين يتاه بكم»: (التيه) يعني الضلالة.

«وكيف تعمهون»: (العمه) التحير والتردد كما في لسان العرب<sup>59</sup>، والمقصود هنا عمى البصر وعمى القلب الذي يوجب الضلالة والحيرة وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا)<sup>60</sup>.

«وبينكم عترة نبيكم»: وهم أهله الأذنون أي أقرب الناس إليه وقد بين النبي (صلى الله عليه و آله) في حديث الثقلين من هم؟ وذلك يقوله (صلى الله عليه و آله): «وعترتي أهل بيتي»، وفي مقام آخر حين نزلت آية التطهير ووضع الكساء على علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس».

«وهم أزمة الحق»: جمع زمام وهو الشيء الذي يقاد به الحيوان كأنه جعل الحق دائراً معهم حيثما داروا وذاهباً معهم حيثما ذهبوا، كما أن الناقة طلوع زمامها. وهذا ما أشار له النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) عندما قال: «علي مع الحق، والحق مع علي، اللهم أدر الحق معه حيث دار»<sup>61</sup>.

«وأسنة الصدق»: لقد مر الكلام سابقاً وقلنا بأنهم (عليهم السلام) من خصمهم الله تعالى يقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)<sup>62</sup>.

كذلك يشير الإمام (عليهم السلام) هنا إلى قوله تعالى: (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)<sup>63</sup>.  
«فأنزلوهم منازل القرآن»: أي وجوب طاعتهم والانقياد لهم (عليهم السلام) كما هو التعامل مع القرآن الكريم فهم القرآن الناطق. ولعل المراد هنا أن يكون إعظامهم وإجلالهم ومنزلتهم في القرآن هي منطلق التعامل معهم (عليهم السلام).

«وردوهم ورود الهيم العطاش»: أي كونوا ذي حرص وانكماش على أخذ العلم والدين منهم كحرص الهيم - الإبل - الظماء على ورود الماء كما يذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج<sup>64</sup>.  
ومما نستدل عليه من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام):

57. لسان العرب 265:10.

58. لسان العرب 381:14.

59. لسان العرب 519:13.

60. سورة الإسراء، الآية: 72.

61. البحار/ للمجلسي 218:78، سفينة البحار / للقمي: 289:2، تاريخ مدينة دمشق / لابن عساكر ترجمة الإمام علي 3:1250.

62. سورة التوبة، الآية: 119.

63. سورة الشعراء، الآية: 84.

64. شرح النهج 6:377.

1 - إنَّ العترة الطاهرة (عليهم السلام) معصومة بصفقتها عدلاً للقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذه هي عقيدتنا فشرط الإمامة الإلهية هو العصمة كما في قوله تعالى: (قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)<sup>65</sup>. والعهد هنا يعني الإمامة وهي لا تصل إلى الظالم مهما كان نوع الظلم، من ظلم النفس بارتكاب الذنوب والمعاصي أو ظلم الآخرين.

2 - الباب الوحيد لعصمة الأمة من الضلالة والعمى هم أئمة الهدى (عليهم السلام) الذي حرص القرآن الكريم وحث الأمة على مودتهم بقوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)<sup>66</sup>. كذلك الروايات عن طريق الفريقين في ضرورة حبهم وطاعتهم واتباعهم. ومن تلك الروايات ما أورده الفخر الرازي في تفسيره الكبير عن الزمخشري في الكشاف<sup>67</sup> أنَّ أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال:

«ألا من مات على حب آل محمد مات شهيداً».

«ألا من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له».

«ألا من مات على حب آل محمد مات تائباً».

«ألا من مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان».

«ألا من مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة».

«ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله».

وفي حديث عنه (صلى الله عليه وآله) قال: «أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة، وكتابه وأهل بيته ثم أمتي، ثم أسألهم: ما فعلتم بكتاب الله وبأهل بيته؟»<sup>68</sup>

**(10) - «فإنهم عيش العلم، وموت الجهل؛ هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن**

**منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم؛ لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه»**<sup>69</sup>.

«فإنهم عيش العلم، وموت الجهل»: وهذه من الألفاظ المجازية التي أطلقها أمير المؤمنين (عليه السلام) فوصفهم بأنهم حياة العلم لما في وجود الحياة من وجوه للانتفاع بها، وهنا أطلق (عليه السلام) أسم السبب على المسبب على اعتبار أنهم من أحيوا العلم بوجودهم المقدس، وكذلك فإن الجهل بهم يموت ويعدمهم.

وإذا كان الماء هو مصدر الحياة وبدمه يكون الموت، فإن أهل البيت (عليهم السلام) هم الذين سقوا العلم من نير علومهم ومعارفهم التي أخذوها عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) عن الله تعالى.

«هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم»: لعل الإمام (عليه السلام) هنا يريد مطلق الأحكام القضائية وما

جاء من وصاياهم وبياناتهم والتي تحكي عما يحملون من العلم والمعرفة.

<sup>65</sup> . سورة البقرة، الآية: 124.

<sup>66</sup> . سورة الشورى، الآية: 23.

<sup>67</sup> . تفسير الفخر الرازي 165:27.

<sup>68</sup> . أصول الكافي 2:600، ح 4.

<sup>69</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 9:106، خطبة 147.

«وصمتهم عن منطقتهم»: يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج: (صمت العارف أبلغ من نطق غيره، ولا يخفى فضل الفاضل وأن كان صامتاً)<sup>70</sup>، والصمت في غير محل النطق إنما هو دليل على العلم بما يقول في كل النطق..

«وظاهرهم عن باطنهم»: أي أن ما كان يصدر عنهم من قول أو فعل إنما يفصح عن حسن ما يضمرون في باطنهم. بمعنى أن هناك توافق بين صورة الظاهر وصورة الباطن عندهم (عليهم السلام).

«لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه»: وهذه سمة أخرى من سماتهم (عليهم السلام) حيث أن مالهم من مقام العصمة ومن الإحاطة التامة بأحكام الله عز و جل والسنة النبوية ينفي حصول أي مخالفة عندهم بهذا الدين. وكل ما يصدر عنهم (عليهم السلام) هو واحد لا اختلاف فيه بين إمام وإمام آخر، فهم السلسلة الذهبية المعصومة من الخطأ لأن مصدر ما عندهم هو السماء.

وهذا المعنى صرح به أئمة العصمة (عليهم السلام) كما هو ما ورد عن أبي عبدالله (عليه السلام) حيث قال: «إن النبي وأمير المؤمنين وذريته الأئمة حجتهم واحدة وطاعتهم واحدة»<sup>71</sup>.

وعنه (عليه السلام): «نحن في الأمر والفهم والحلال والحرام يجري مجرى واحداً فأما رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي فلهما فضلها»<sup>72</sup>.

ولا يخفى ما في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الخطبة من دلالات:

1 – إن الحياة الحقيقية ليست بالحركة وتناول الطعام والشراب فكم من الناس من يمشي في الأسواق ويأكل ويشرب ولكنه في واقع الأمر ميت، لأن حياته هذه لا تتعدى حياة البهائم والأنعام، بينما الحياة الحقيقية هي حيات العلم وأما الجهل فهو الموت بعينه.

2 – إن معرفة مواطن الصمت ومواطن الكلام يقتضي وجود الحكمة في نفس الإنسان حتى لا يتكلم في مواطن الصمت ولا يصمت في مواطن الكلام.

3 – صورة الظاهر مرتبطة بصورة الباطن بل أنها تعكس صورة الباطن عند الإنسان.

كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «القلب مصحف البصر»<sup>73</sup>.

4 – إن الاختلاف دليل وقوع الجهل وهذا لا يمكن أن يحصل عند من أخذ علومه عن سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) فهم أئمة الهدى (عليهم السلام).

## (11) - «ألا بأبي و أمي هم من عدة، أسماؤهم في السماء معروفة، وفي الأرض مجهولة»<sup>74</sup>.

العدة هنا هم الأئمة المعصومون الأحد عشر من ولده (عليهم السلام).

«أسماؤهم في السماء معروفة»: أي تعرفها الملائكة الذين أعلمهم الله تعالى بأسمائهم.

«وفي الأرض مجهولة»: أي عند من استولى عليه الضلال من البشر.

<sup>70</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد: 108:9.

<sup>71</sup> . الكافي 1: 275.

<sup>72</sup> . الكافي 1: 275.

<sup>73</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 20: 46، الكلمات القصار: 417..

<sup>74</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 13: 95، خطبة 233.

إن أسماء أهل بيت العصمة (عليهم السلام) معروفة في السماء منذ خلق آدم (عليه السلام) حيث أن الله عز وجل خلقهم أنواراً تحيط بعرشه قبل خلق آدم، وعندما خلق الله آدم علمه أسمائهم كما في قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)<sup>75</sup>.

يقول السيد السبزواري في تفسيره مواهب الرحمن: (إن المقصود الأصلي من الأسماء إنما هو مقام الخلافة الإلهية وأسماء إنما هو مقام الخلافة الإلهية وأسماء الخلفاء ليكون آدم على بصيرة من أمره من أن الأرض أرضه، والبشر نسله، والخلفاء ذريته ولا سيما سيدهم - صلى الله عليه وآله - وهذا مما لا ريب فيه. فقد روى الفريقان عنه - صلى الله عليه وآله - «كنت نبياً وأدم بين الماء والطين»، فهو - صلى الله عليه وآله - مقدم على آدم علماً وإن كان مؤخراً خارجاً)<sup>76</sup>.

أهم ما يدل عليه هذا المقطع من خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) هو علو شأنهم ورفعة قدرهم (عليهم السلام) الذي يستحيل على الناس العاديين إدراكه أو الوصول إلى كنه معرفتهم (عليهم السلام) فهم من المنزلة السامية التي يمتلكونها بحيث لا أحد يعرفهم ويعرف أسرارهم إلا الله عز وجل ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله).

**(12) - «نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، ونبابيع الحكم، ناصرنا ومحبا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة»<sup>77</sup>.**

يشير الإمام (عليه السلام) هنا إلى حديث النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) الذي أخرجه الحاكم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي (عليه السلام): «يا علي، الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة»، ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله): (وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٍ وَتَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ)<sup>78</sup>. هذا حديث صحيح الإسناد.

إنها شجرة النبوة المثمرة جذرها وساقها النبي (صلى الله عليه وآله) وفروعها وأغصانها أولاده (عليهم السلام) وثمرتها التي تحملها هي هداية الناس إلى طريق الحق.

«ومحط الرسالة»: أي موضع هبوط الرسالة.

«ومختلف الملائكة»: (مختلف) من مادة (اختلاف) وهي بمعنى الذهاب والإياب فيكون معنى (مختلف) هنا محل الذهاب والإياب، فهم (عليهم السلام) موضع اختلاف الملائكة في صعودها ونزولها إن كانوا ملائكة الوحي أو جميع الملائكة وذلك للخدمة والبشارة وأمثال ذلك، وهذا لا يعني بان الوحي يهبط غير رسول الله (صلى الله عليه وآله).

«ومعادن العلم ونبابيع الحكم»: فهم ورثة علوم النبي (صلى الله عليه وآله) وحفظة الكتاب والسنة. يقول الإمام (عليه السلام): «علمني رسول الله إلف باب من العلم، يفتح لي من كل باب ألف باب»<sup>79</sup>.

<sup>75</sup> .سوره البقرة، الآية: 31.

<sup>76</sup> . مواهب الرحمن في تفسير القرآن 1: 155-156.

<sup>77</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 7: 218، خطبة 108.

<sup>78</sup> . المستدرک علی الصحیحین 2: 214.

<sup>79</sup> . الاختصاص / للشيخ المفيد: 283.

نلاحظ هنا التعبير اللطيف للإمام (عليه السلام) بوصفهم ينابيع الحكم إشارة إلى إفاضتهم على الناس من خلال علمهم ومعرفتهم وحكمهم.

«ناصرنا و محبنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة»: وهذه بشارة لمن تعلق بهم (عليهم السلام) ونصرهم، وكذلك تهديد بالعذاب الإلهي لكل من نصب العداة لأهل هذا البيت الطاهر، وفي هذا المعنى نقلنا روايات عن النبي (صلى الله عليه و آله) عن العامة والخاصة فمن شاء فليراجع. ومما سبق يتضح لنا ما يلي:

1 - إن شجرة النبوة والتي منها أهل بيت العصمة (عليهم السلام) هي أشرف ما خلق الله عز و جل في هذا الوجود.

2 - إن هناك فرق بين مقام النبوة ومقام الرسالة، فالنبوة تعني نزول الوحي من قبل الله تعالى، أما الرسالة فتمثل القيام بالدور الفكري والثقافي وبمعنى آخر دور إبلاغ الرسالة له وبيانها للناس، وهذان المقامان كانا لرسول الله (صلى الله عليه و آله) إضافة إلى المقام الثالث وهو الأرفع والمتمثل بمقام الإمامة الإلهية وهي القيادة الاجتماعية والسياسية والإدراية للأمة والتي جرت من بعده للأئمة المصعومين (عليهم السلام).  
3 - الحث على حب أهل البيت (عليهم السلام) ونصرتهم للفوز بالفلاح الدنيوي والأخروي.

(13) - «عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمر لا ينال»<sup>80</sup>.

«عتره الرجل»: أي أهله الأقربون كما مر بنا سابقاً.

«خير العتر»: جمع عتره.

«وأسرته»: رهطه وجماعته.

«خير الأسر»: جمع أسرة.

«وشجرته خير الشجر»: الشجر للجنس والشجرة للمفرد.

والمقصود بالعتره هم أهل بيت النبي (صلى الله عليه و آله) العتره الطيبة الطاهرة، والأسرة هي أسرته الكريمة، وشجرته التي هي شجرة وجوده (صلى الله عليه و آله) وتمثل العتره الطاهرة فروع هذه الشجرة وهي مصداق قوله تعالى: (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء \* تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها)<sup>81</sup>.

وقد نبتت هذه الشجرة المباركة (في حرم) أي مكة المكرمة، وقد يعني به المنعة والعز كما ذكر ابن الحديد في شرح نهج البلاغة<sup>82</sup>.

«وبسقت»: إشارة إلى فضيلة الكرم التي تميزت بها شجرة النبي (صلى الله عليه و آله) حيث أن جده وهو هاشم إنما سمي هاشماً لكرمه فكان يهشم الثريد لقومه.

«لها فروع طوال»: المقصود امتداد ذرية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله).

«وثمر لا ينال»: أراد الإمام (عليه السلام) نفسه ومن يجري مجراه من أهل البيت (عليهم السلام). فلا يمكن لأحد أن يصل إلى مكانتهم وعلو شأنهم.

<sup>80</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 7:62، خطبة 93.

<sup>81</sup> . سورة إبراهيم، الآية: 24-25.

<sup>82</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 7:63.

وخاصة القول أن أمير المؤمنين (عليه السلام) وصف هذه الشجرة بهذه الأوصاف لأنها بلغت أرفع مراتب الشرف والكمال وأعطت ثمارها التي لا يمكن الوصول إليها أو أدراك غموضها وأسرارها. وما مر بنا في هذا المقطع من خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) فيه إشارة إلى جملة من الأحاديث النبوية الشريفة في هذا المعنى ومنها:

عن النبي (صلى الله عليه و آله): «إن الله اصطفى من العرب معداً، واصطفى من معد بني النضر بن كنانة، واصطفى هاشماً من بني النضر، واصطفاني من بني هاشم»<sup>83</sup>.  
وقال (صلى الله عليه و آله) «إن جبرئيل قال لي: يا محمد قد طفت الأرض شرفاً وغرباً فلم أجد فيها أكرم منك ولا بيتاً أكرم من بني هاشم»<sup>84</sup>.

وقال (صلى الله عليه و آله): «نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية»<sup>85</sup>.  
وقوله (صلى الله عليه و آله): «إن الله تعالى لم يمسنني بسفاح في أرومتي - أرومة: يعني أصل - منذ إسماعيل بن إبراهيم إلى عبدالله بن عبدالمطلب»<sup>86</sup>.  
وقوله (صلى الله عليه و آله): «أكرمك الله في أهل بيتي»<sup>87</sup>.

(14) - لما انتهت إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال (عليه السلام): «فهلأ احتججتهم عليهم بأن رسول الله - صلى الله عليه و آله وسلم - وصى بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم»؟ قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال (عليه السلام): «لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم»، ثم قال (عليه السلام): «فماذا قالت قريش»؟ قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول (صلى الله عليه و آله).

فقال (عليه السلام): «احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة»<sup>88</sup>.  
بعد وفاة النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) جرت مشاجرات في السقيفة بين المهاجرين والأنصار لغرض الوصول إلى سدة الحكم وإمارة المسلمين في الوقت الذي كان فيه الخليفة الشرعي وولي أمر المسلمين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مشغولاً بتجهيز النبي (صلى الله عليه و آله) ودفنه. وأخذ من المهاجرين والأنصار يدعي أحقيته بالخلافة واحتج كل منهما على الآخر بماله من مناقب وسوابق. فلما بلغ الإمام (عليه السلام) ما جرى بينهما من احتجاج كل منهما على آخر في تلك السقيفة، قال (عليه السلام) بما هو رد على احتجاج قريش بأنها شجرة الرسول (صلى الله عليه و آله): «احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة». ومن الواضح أنالثمره قصد بها أمير المؤمنين (عليه السلام) نفسه وأهل البيت (عليهم السلام)، فهم أقرب الناس للنبي (صلى الله عليه و آله) وهم الأولى بخلافة الرسول (صلى الله عليه و آله) الشرعية، فهم الشجرة

83 . فضائل الصحابة / لأحمد بن حنبل 2:628، الأمالي: 216.

84 . نفس المصدر السابق.

85 . صحيح مسلم 4:1873، كتاب فضائل الصحابة ح 36.

86 . نفس المصدر السابق.

87 . نفس المصدر السابق.

88 . شرح النهج / لابن أبي الحديد:2، خطبة 66.

الطبية في القرآن الكريم والتي ورد في الرواية عن جابر قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عزوجل:

(كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا)، قال: «أما الشجرة فرسول الله (صلى الله عليه و آله) وفرعها علي (عليه السلام) وغصن الشجرة فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وثمرها أولادها، وورقها شيعتنا»<sup>89</sup>.

قال الكراجكي في كنزه: (ومن العجب أن يجتمعوا في السقيفة لطلب الخلافة فتحتج الأنصار بأنها تستحقها بنصرتها للنبي (صلى الله عليه و آله) ويحتج المهاجرون يقربهم منه (صلى الله عليه و آله) وليس فيهم من يذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي لا يلحقه الأنصاري في نصرته ولا يدانيه القرشي في قرابة، ومن العجب قول القرشي: إن الخلافة لا تكون إلا من حيث النبوة وإنها تستحقها بذلك لأن النبي (صلى الله عليه و آله) من قریش، ولم يقل لها احد في الحال: أن بني هاشم أولى منكم بها على هذه الحجة لأن النبي (صلى الله عليه و آله) من بني هاشم)<sup>90</sup>.

مما تستدل عليه من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام):

- 1 - إنما يراد من الشجرة ثمارها، فإذا أغفلنا ثمارها فمن الأولى أن لا نلتفت إليها.
- 2 - إن الخلافة الشرعية للنبي (صلى الله عليه و آله) هي خلافة آل الرسول (صلى الله عليه و آله) والذين هم ثمرة شجرته المباركة، وهذا يعني أن خلافة من سبقه خلافة، خلافة باطلة فهي لا تحمل أي وجه شرعي، وهذا يعني أيضاً أن إدعاه كل من المهاجرين والأنصار باطل.
- 3 - إن كلام الإمام (عليه السلام) عندما قال: «وأضاعوا الثمرة» فيه إشارة واضحة لما يترتب من النتائج الفاسدة لهذه المقدمة الفاسدة في تحية أمير المؤمنين وأهل البيت (عليهم السلام) عم مقامهم الشرعي في خلافة النبي (صلى الله عليه و آله)، فما جرى على هذا البيت الطاهر من المصائب والمظلومية هو أعظم دليل على تلك المقدمة الفاسدة، وكما هو معروف فإن النتائج توافق المقدمات.

(15) - «إن الأئمة من قریش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم»<sup>91</sup>.

«الأئمة من قریش»: هذه العبارة مأخوذة من الحديث النبوي المعروف عند القرينين. فقد روى مسلم في صحيحه مسنداً عن حصين بن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي علي النبي (صلى الله عليه و آله) فسمعتة يقول: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيه اثنا عشر خليفة»، قال: ثم تكلم بكلام خفي قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قریش»<sup>92</sup>.

ونقل حديث: أن الأئمة اثنا عشر وكلهم من قریش العلامة المجلسي في بحاره بأسانيد مختلفة ومن شاء فليراجع الجزء السادس والثلاثين من بحار الأنوار صفحة: (297) وما بعدها.

<sup>89</sup> . البحار / للمجلسي 138:24.

<sup>90</sup> . بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، نقلاً عن كلام الكراجكي في رسالة التعجب: 13-14.

<sup>91</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 84:9، خطبة 144.

<sup>92</sup> . مسند أحمد 5:93-101، صحيح ابن حبان 15:45، صحيح مسلم: 6:3، مستدرک الصحيحين 4:280، الإمامة والتبصرة: 151، الخصال: 472، ح 26 و غيرها من مصادر العامة والخاصة.

«غرسوا في هذا البطن»: المعين (من هاشم)، وهنا خص الإمام (عليه السلام) نفسه والأئمة الأحد عشر من أبنائه (عليهم السلام).

«لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاية من غيرهم»: أي أن الإمامة مختصة بالعترة الطاهرة (عليهم السلام) وهي إمامة وخلافة كبرى معينة من قبل الله تعالى ولا تعتمد على بيعة الناس، ولهذه الإمامة والخلافة الإلهية خصائص وشروط غير موجودة في غيرهم (عليهم السلام) كما نص أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا المعنى عندما قال: «ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة»<sup>93</sup>.  
ومن هنا نستدل على ما يلي:

- 1 - ما قاله (عليه السلام) يفيد الحصر بأن الأئمة من قريش ومن هاشم بالذات.
- 2 - فساد دعوى كل من قال بعدم اشتراط النسب في الإمامة وأنها تصلح للقرشي وغير القرشي، وكذلك من قال أن القرشية شرط إذا وجد في قريش من يصلح للإمامة، فإن لم يكن فيها من يصلح فليست القرشية شرطاً فيها.

#### (16) - «إن أمرنا صعب مستصعب لا يجمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»<sup>94</sup>.

«مستصعب»: من مادة (صعب) بمعنى المشكل وصعوبة فهم الشيء.  
إن المقامات السامية لأهل البيت (عليهم السلام) التي وضعهم الله تعالى بها وكذلك المعرفة بالله عز و جل وما عندهم من العلوم المشتملة على عالم التكوين وعلوم الغيب وغيرها عن طريق النبي (صلى الله عليه وآله) وكذلك ما عندهم من الولاية التكوينية والتشريعية مضافاً إلى كل هذا تحملهم للأذى في جنب الله عز و جل من أجل الحفاظ على أصالة هذا الدين، وكذلك تحمل مشاق التقوى والصبر عليها، كل هذا إنما هو أمر صعب مستصعب لا يجمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان. وهذا في الواقع تعبير قرآني: قال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍَ كَبِيرٍ) (سورة البقرة: 177).

ومن المناسب في هذا المقام أن نذكر بعض الشواهد التي تبين لنا أن أمرهم (عليهم السلام) صعب مستصعب يستحيل على الناس العاديين إدراكه وتحمله ومنها:  
يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في نفس هذه الخطبة: «أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض».

ومن رواية العامة في هذا المعنى: قال يحيى بن سعيد بن المسيب - حسب نقل الاستيعاب -: (ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه)<sup>96</sup>.

وفي رواياتنا حديث ذكره محمد بن يوسف البلخي في كتابه. فقد روى: أن علياً خطب الناس فقال: «سلوني قبل أن تفقدوني. سلوني عن طرق السماوات فإني أعرف بها من طرق الأرض». فقام إليه رجل من وسط القوم وقال له: أين جبرئيل في هذه الساعة. فرمق بطرفه إلى السماء ثم رمق بطرفه إلى المشرق ثم رمق

<sup>93</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 1:138، خطبة 2.

<sup>94</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 13:101، خطبة 235.

<sup>95</sup> . سورة الحجرات، الآية: 3.

<sup>96</sup> . الاستيعاب 2:50.

بطرفه إلى المغرب فلم يجد موطناً فالتفت إليه فقال: يا هذا الشيخ أنت جبرئيل. فقال الرجل: بخ بخ لك يا علي بن أبي طالب إن الله يباهي بك ملائكته. قال ذلك ثم صفق طائراً من بين الناس<sup>97</sup>. ولا يخفى هنا ما أراده الإمام (عليه السلام) في خطبته من الترغيب والتمسك بأهل البيت (عليهم السلام) ومعرفة سيرتهم الطاهرة وذلك للالتحاق في زمرة المؤمنين الممتحنين.

(17) - «وهم دعائم الإسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه»<sup>98</sup>.

«دعائم الإسلام»: أي أركانه.

«وولائج الاعتصام»: ولائج جمع (وليجة) وهي الموضع يدخل إليه ويستتر فيه ويعتصم به<sup>99</sup>. وهناك معنى آخر لـ(وليجة) وهو من (الولوج) وتطلق على حامل أسرار الشخص أو جامعها ولكن ليس من أهله، ويقال وليجة لكل من يرد قوماً من الخارج ويحمل أسرارهم وهي قريبة من مفردة البطانة<sup>100</sup>. يبين الإمام (عليه السلام) من خلال هذه الصفات التي ذكرها بحق أهل البيت (عليهم السلام) بأن بقاء الإسلام إنما هو ببركتهم (عليهم السلام) فهم الذين حفظوا أصالته بتضحياتهم النفيسة التي لم يسبقهم إليها أحد حتى على مستوى الأنبياء. وكذلك فإن آل محمد (صلى الله عليه وآله) هم خيمة الدين وأوتادها وكل من يريد الاعتصام من مكائد الشيطان ووساوس النفس الإمارة بالسوء فعليه ولوج هذه الخيمة. ثم يقول الإمام (عليه السلام): «بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه». يشير الإمام (عليه السلام) هنا إلى ما حصل في السقيفة من الانقلاب وكيف أن أهل الباطل نكثوا ببيعتهم له (عليه السلام) وخاسوا بعهدهم مع الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) فأقاموا الباطل مقام الحق، وما حصل من الانحرافات بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عهد الخلفاء الثلاثة خير شاهد على هذا المعنى.

ولكن بعد تولي أمير المؤمنين (عليه السلام) زمان الأمور عاد الحق إلى نصابه، فلقد استطاع الإمام (عليه السلام) أن ينحى الباطل وأتباعه الذين فعلوا الأفاعيل ونهبوا بيت مال المسلمين وخاصة على عهد الثالث. ومن دلالات هذا المقطع من خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام):

- 1 - إن من يتخذ وليجة دون أهل البيت (عليهم السلام) فقد ضل سواء السبيل.
- 2 - إن الحق معهم (عليهم السلام) ولا يفارقهم أبداً كما في الحديث النبوي الشريف قال (صلى الله عليه وآله): «علي مع الحق والقرآن، والحق والقرآن مع علي، ولن يفترقا حتى يردها علي الحوض»<sup>101</sup>.
- 3 - لو تسلم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مقاليد الأمور بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ليبقى الحق قائماً شامخاً ولزال الباطل واندحر ولعاش المسلمون سعادة الدنيا والآخرة.

<sup>97</sup> . إحقاق الحق 7:261.

<sup>98</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 13:317، خطبة 243.

<sup>99</sup> . نفس المصدر السابق: 318.

<sup>100</sup> . شرح النهج / لمكارم شيرازي 8:435.

<sup>101</sup> . الغدير / للأميني 3:178 نقلاً عن مختلف مصادر العامة.

## (18) - «شَقُوا أمواج الفتن بسفن النجاة»<sup>102</sup>.

لقد شبه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الفتن بالبحر الهائج الذي تتلاطم أمواجه ويوصي بالاعتصام بسفن النجاة والتي تمثل الوسيلة الوحيدة للوصول إلى شاطئ الأمان، وأي سفينة أعظم من أهل البيت (عليهم السلام)؟! ولا يخفى علينا هذا الترابط بين كلام علي (عليه السلام) وبين الحديث المشهور عن النبي (صلى الله عليه وآله) حيث قال: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من دخلها نجا و من تخلف عنها غرق»<sup>103</sup>.

إنها سفينة الأمان و سفينة الهداية ومنها ينبعث النور ليضيء دكنة الطريق إلى حيث الوصول لمرضاة الله عز و جل والفوز بالنعيم الآخروي.

وبهذا المعنى يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «أيها الناس، عليكم بالطاعة والمعرفة بمن لا تغدرون بجهالته فإن العلم الذي هبط بها آدم (عليه السلام) وجميع ما فضلت به النبيون - إلى محمد خاتم النبيين - في عترة (نبيكم) محمد - صلى الله عليه و آله -، فأين يتاه بكم بل أين تذهبون؟

يا من نسخ من أصلاب السفينة هذه فيكم فاركبوها، فكما نجا في هاتيك من نجا، فكذلك ينجو في هذه من دخلها، أنا رهين بذلك قسماً حقاً وما أنا من المتكلفين الويل لمن تخلف (عنهم) ثم الويل لمن تخلف. أما بلغكم ما قال فيهم نبيكم - صلى الله عليه و آله -، حيث يقول في حجة الوداع: (إني تارك فيكم الثقلين: ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيها). ألا هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا»<sup>104</sup>.

ويستدل من هذه العبارة من خطبة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أنها تمثل وصية لهذه الأمة في كيفية التعامل مع الفتن الضالة والمضلة وذلك بالالتحاق والتمسك بأئمة الهدى (عليهم السلام)، وهذه الوصية ليست خاصة بعصر علي (عليه السلام) وإنما لكل العصور ولكل الأجيال.

## (19) - «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا»<sup>105</sup>.

ينكر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على أولئك القوم من الصحابة الذين كانوا ينازعونه الفضل ويدعون أنهم راسخون في العلم دون أهل البيت (عليهم السلام) بالرغم من تسليمهم له (عليه السلام) بأنه أفضى الأمة ولم يستطيعوا الاستغناء عنه (عليه السلام) في الكثير من الأحكام القضائية وكذلك المعضلات التي كانت تمر بهم، وقد عرف عن عمر بن الخطاب أنه كان دائماً ما يقول: (لو لا علي لهلك عمر)<sup>106</sup>. وقوله: (لا عشت لمعضلة ليس لها أبو الحسن)<sup>107</sup>.

«الراسخون في العلم»: هذا التعبير قد ورد في القرآن الكريم حيث قال جل و علا: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ

<sup>102</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 1:213، خطبة 5.

<sup>103</sup> . الأمالي / للشيخ الطوسي: 349.

<sup>104</sup> . نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة 3:83-84.

<sup>105</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 9:144، 84.

<sup>106</sup> . البداية والنهاية / لابن كثير 7:359، تاريخ الخلفاء / للسيوطي: 171.

<sup>107</sup> . تاريخ الطبري 4:238، تاريخ يعقوبي 4:238، شرح النهج / لابن أبي الحديد 1:188.

ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ<sup>108</sup>.

اختلف المفسرون بأرائهم حول هذه الآية، فهل أن المراد في قوله تعالى: (الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) مبتدأ و (يَقُولُونَ) خبره، وهذا يعني أن علم التأويل ينحصر بالله تعالى. ويعني أيضاً أن الناس جميعاً تتساوى بأنهم راسخون في العلم بعض النظر فيما إذا كانوا علماء أو جهلاء لأن عامة الناس تؤمن بأن القرآن كله من عند الله تعالى. وهنا نقول هل ينسجم هذا الرأي مع سياق الآية الذي يبين انقسام الناس بين متبع للمتشابه لوجود زيغ في قلبه، وبين من هو راسخ في العلم (الرسوخ هو أشد الثبات) يتبع محكم الكتاب و يؤمن بمتشابهه، ثم أضافه إلى ذلك فإن القرآن الكريم في هذه الآية في مقام مدح لهؤلاء الراسخون في العلم وذم لأولئك الذين عندهم زيغ في قلوبهم. فهل يتساوى من هو راسخ في العلم مع من عنده ميل واضطراب في قلبه؟! وقال البعض الآخر من المفسرين: إنَّ (الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) معطوف على اسم الجلالة، فيكون تأويل القرآن الكريم من علم الله تبارك و تعالى وعلم (الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) وتكون (يَقُولُونَ) حال. وهذا رأي قوي ومتين وينسجم مع كلام الإمام (عليه السلام) ومع الروايات الواردة عن أهل البيت العصمة (عليهم السلام).

ومنها ما أورده صاحب الميزان في الجزء الثالث، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: «إنَّ القرآن محكم ومتشابه فأما المحكم فتؤمن به وتعمل به وتدين، وأما المتشابه فتؤمن به ولا تعمل به، وهو قول الله عز و جل : (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا). والراسخون في العلم هم آل محمد<sup>109</sup>.

نعم إنهم (عليهم السلام) الراسخون في العلم والذين أخذوا علومهم من النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) وعلى رأسهم على أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي قال: «علمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب»<sup>110</sup>.

ولهذا فإن كل من يدعي أنه راسخ في العلم دون أهل البيت (عليهم السلام) - كما في نص الإمام (عليه السلام) - فهو كاذب وباغ عليهم وظالم لهم، وإن مثل هذا قد يوهم المسلمين بدعواه ويفسر القرآن على هواه. وأعظم دلالة في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) أن أهل البيت (عليهم السلام) هم أعلم الناس بعد النبي (صلى الله عليه و آله) فلا يستطيع أحد أن يقول أنا أعلم الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) غير علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي ملأ الخافقين بعلمه.

(20) - «بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنتم ذروة العلياء، وبنا أفجرتم عن السرار»<sup>111</sup>.

أي: خرجتم من ظلمات الجهل والضلالة إلى أنوار العلم والهداية. روى الكليني في قوله عز و جل: « وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ »<sup>112</sup>. قال: هم الأئمة - صلوات الله عليهم -<sup>113</sup>.

<sup>108</sup> . سورة آل عمران، الآية: 7.

<sup>109</sup> . الميزان / للطباطبائي 3: 78.

<sup>110</sup> . الاختصاص / للششيخ المفيد: 283، تاريخ دمشق / لابن عساکر 2: 484.

<sup>111</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 1: 207، خطبة 4.

<sup>112</sup> . سورة الأعراف، الآية: 181.

<sup>113</sup> . الميزان / للعلامة الطباطبائي 8: 372.

«وتسنتم العلياء»: أي علا ذكركم ورفع قدركم بهداية أهل البيت (عليهم السلام).

«وبنا أفجرتم عن السرار»: (السرار) آخر ليلة في الشهر يخنفي فيها القمر ويعبر عنه بالمحاق، وهذا كناية عن الظلام. وتحمل هذه العبارة وجهين في معناها فيما أن يكون المراد هو انفجار العين من الأرض، أو الدخول في الفجر، ولعل المعنى الثاني أقرب لاستعارة الإمام (عليه السلام) لفظة (السرار) للتعبير عما كانوا عليه من ظلمات الجهل والكفر، فبين الإمام علي (عليه السلام) هنا أن خروجهم من تلك الظلمات إلى نور الإسلام واستضاءتهم بضياء صباح الهداية الذي أشرق ببركة وجود أهل البيت (عليهم السلام) كما قال عز من قال: «وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَّسَ \* وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ»<sup>114</sup>.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن الكوا حين سأله عن ذلك: «يعني ظلمة الليل وهذا ضربه الله مثلاً لمن ادعى الولاية لنفسه وعدل عن ولادة الأمر». قال: فقولته (وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ) قال: «يعني بذلك الأوصياء يقول: إن علمهم أنور وأبين من الصبح إذا تنفس»<sup>115</sup>.

لقد قام أهل البيت (عليهم السلام) بوظائف الإمامة والتي تقتضي منهم حفظ الدين ورعايته وتعليمه والدعوة إليه.

لقد مرت بهذه الأمة وإلى يومنا هذا موجات من التحريف لهذا الدين ومن تأويل للجهلة وشبهات الضالين والمخالفين، وتصدى أئمة هذا البيت الطاهر (عليهم السلام) لكل هذا، وما أكثر ما حوت بطون كتب المحدثين والمؤرخين من الفريقيين من نماذج لاحتجاج أئمة الهدى (عليهم السلام) مع مثل هؤلاء. ومثال على ذلك ما ذكره ابن حجر في صواقه في ترجمة الإمام العسكري (عليه السلام) أنه: (لما حبسه المعتمد ابن المتوكل وقع قحط شديد فخرج المسلمون للاستسقاء ثلاثة أيام فلم يستسقوا، فخرج النصارى ومعهم راهب، فلما مد يده إلى السماء غيمت فأمطرت في اليوم الأول، ثم في اليوم الثاني كذلك، فشك بعض جهلة المسلمين وارتد بعضهم، فشق ذلك على المعتمد فأمر بإحضار الحسن الخالص - العسكري - وقال له: أدرك أمة جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل أن يهلك، فقال الحسن: «يخرجون غداً وأنا أزيل الشك إن شاء الله»، وكلم الخليفة في إطلاق أصحابه من السجن فأطلقهم له، فلما رفع الراهب يده مع النصارى غيمت السماء، فأمر الحسن - رضي الله عنه - بالقبض بما في يد الراهب، فإذا عظم آدمي في يده، فأخذه من يده وقال: «استسق»، فرفع يده إلى السماء فزال الغيم وظهرت الشمس، فعجب الناس من ذلك. فقال المعتمد: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: «هذا عظم نبي قد ظفر به هذا الراهب، وما كشف عظم نبي تحت السماء إلا هطلت بالمطر». وزالت الشبهة عن الناس ورجع الحسن إلى داره<sup>116</sup>.

وهذه الحادثة التي تصدأ لها الإمام العسكري (عليه السلام) هي غيظ من فيض لما قام به الأئمة الهداة (عليهم السلام) من أدوار للوقوف بوجه كل الانحرافات العقيدية والاجتماعية والأخلاقية التي عصفت بهذه الأمة لكي يبقي هذا الدين قائماً وناصباً واصيلاً. ونستدل من كلام الإمام (عليه السلام) أن كل من يريد الهداية والتسامي والرفعة في الدنيا والآخرة وإدراك الفجر الصادق للخروج من الظلمات فلا بد له الإقتداء بأئمة الهدى (عليهم السلام) وفي هذا إشارة إلى حديث النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) عند ما قال: «أهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»<sup>117</sup>.

<sup>114</sup> . سورة التكوير، الآية: 17 و 18.

<sup>115</sup> . البحار / للمجلسي 77:24 نقلاً عن كنز الفوائد: 372.

<sup>116</sup> . الصواعق المحرقة / لابن حجر: 314.

<sup>117</sup> . ميزان الاعتدال / للذهبي 82:1، ابن حجر في لسان الميزان 1:136.

(21) - «فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض، فبنا النجاة، ومنا مكنون العلم، وإلينا تصير الأمور، وبمهدينا تنقطع الحجج، خاتمة الأئمة، ومنقذ الأمة، وغاية النور، ومصدر الأمور. فنحن أفضل المخلوقين، وأشرف الموحدين، وحجج رب العالمين. فليهنأ بالنعمة من تمسك بولايتنا، وقبض على عروتنا»<sup>118</sup>.  
مقامات رفيعة لا يمكن أن تنسب إلى أحد إلا المعصومين الأربع عشر (عليهم السلام) وفي مقدمتهم الحبيب المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله) والذي دلت الروايات على أن الله تعالى ابتدأ الخلق بنوره (صلى الله عليه وآله) وأنوار أهل بيته (عليهم السلام) ومنها:  
عن جابر بن عبدالله قال: قلت يا رسول الله: أول شيء خلقه الله تعالى ما هو؟  
فقال: «نور بينك، خلقه الله ثم خلق منه كل خير»<sup>119</sup>.

وبإسناده عن أحمد بن علي بن محمد بن عبدالله بن عمر بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نورته منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نورته منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً، فلم يزا إلا نورين أولين إذ لا شيء كونه قبلهما، فلم يزا إلا جبريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أظهر طاهرين في عبدالله وأبي طالب عليهما السلام»<sup>120</sup>.

يقول العلامة المجلسي في بحاره: (ولعل المراد بنور الأنوار أولاً نور النبي (صلى الله عليه وآله) إذ هو منور أرواح الخلائق بالعلوم والهدايات والمعارف، بل سبب لوجود الموجودات، وعلّة غائية لها)<sup>121</sup>.  
وبإسناده عن المفضل عن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام): «يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين فكانوا أشباح نور بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟  
قال: ظل النور، أبدان نورانيه بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحد وهي روح القدس، فيه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم علماء بررة أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل، ويصلون الصلوات، ويحجون ويصومون»<sup>122</sup>.

وهذه الروايات هي مصاديق لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام): «فنحن أنوار السماء والأرض».  
ثم قال (عليه السلام): «فبنا النجاة»: فهم سفن النجاة من الهلكة الدنيوية والأخروية وقد مر الكلام سابقاً بهذا المعنى.

«ومنا مكنون العلم»: فهم عيبة علم الله تبارك وتعالى بما يحمل من أسرار كونه وغيبية وكذلك من علوم تكوينية وتشريعية.

«وإلينا تصير الأمور»: لعل الإمام (عليه السلام) هنا أراد رجوع أمور الخلق إليهم (عليهم السلام) في كل شؤونهم الدينية والدنيوية.

ثم عرج الإمام (عليه السلام) بخطبته إلى منقذ الأمة المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) حيث قال: «وبمهدينا تنقطع الحجج، خاتمة الأئمة، ومنقذ الأمة، وغاية النور، ومصدر الأمور».

<sup>118</sup> نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة 3:25.

<sup>119</sup> البحار / للمجلسي 24:15.

<sup>120</sup> البحار / للمجلسي 24:15.

<sup>121</sup> نفس المصدر السابق 25:15.

<sup>122</sup> البحار / للمجلسي 25:15.

مبيناً أنه أخرج الله تعالى على عباده وبه (عجل الله تعالى فرجه الشريف) خاتمة الأئمة الاثني عشر من أهل بيت العصمة (عليهم السلام) والذي بظهوره سيزيل غيوم الظلم والطغيان والشرك والإلحاد والضلال لتشرق شمس الهداية والعدل والحرية في كل أنحاء المعمورة.

ثم قال (عليه السلام): «فنحن أفضل المخلوقين، وأشرف الموحدين، وحجج رب العالمين». ولا يخفى ما في هذه العبارات من الأفضلية والأشرفية لأهل البيت (عليهم السلام) على باقي الناس ويعضد هذا ما جاء في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): «يا علي إن الله عز وجل أشرف على الدنيا فاخترني منها على رجال العالمين، ثم أطلع الثانية فاخترك على رجال العالمين بعدي، ثم أطلع الثالثة فاختر الأئمة من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثم أطلع الرابعة فاختر فاطمة على نساء العالمين»<sup>123</sup>.

ثم أعطى (عليه السلام) الإشارة لكل من تمسك بولايتهم (عليهم السلام) وهذه هي النعمة الكبرى التي تمت في يوم الغدير بإعلان ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث اكتمل الدين وتمت هذه النعمة وارتضى الله تعالى لعباده هذا الدين كما في قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)<sup>124</sup>.

وكذلك من قبض على عروتهم الوثقى وفيها إشارة إلى قوله تعالى: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا)<sup>125</sup>. فالإيمان الحقيقي بالله تبارك وتعالى والتوحيد الصادق لا يكون من دون ولاية الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، وكما هو وارد في حديث السلسلة الذهبية الذي ينقله الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا بسنده عن إسحاق بن راهويه أنه سمع الإمام (عليه السلام) يقول: «لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي»، قال: لما مرت الراحلة نادانا: «بشروطها وأنا من شروطها»<sup>126</sup>.

ومما مر من بيان لكلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الخطبة نستطيع أن نستدل على ما يلي:

- 1 - إن هذه الخطبة وأمثالها نستند عليها في إثبات عقيدتنا بأئمة أهل البيت (عليهم السلام).
- 2 - إن لهم شرف الخاتمية لحجج الله عز وجل حيث أنهم خاتمة الحجج وبالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) تنقطع حجج الله تبارك وتعالى.
- 3 - جميع النعم الإلهية تمثل ثمرة النعمة الكبرى وهي ولاية أهل البيت (عليهم السلام).

(22) - «إن ملنا فيكم كمثل الكهف لأصحاب الكهف، وكباب حطة وهو باب السلم فأدخلوا في السلم كافة»<sup>127</sup>.

عندما نتأمل في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) نلاحظ أنه لا يفترق عن القرآن الكريم بحيث نجد أن كل ما ورد عنه (عليه السلام) له أصل وجذور في كتاب الله عز وجل، فهو القرآن الناطق الذي لا يفترق عن

<sup>123</sup> . البحار / للمجلسي 354:16 نقلاً عن الخصال 1:96-97.

<sup>124</sup> . سورة المائدة، الآية: 3.

<sup>125</sup> . سورة البقرة، الآية: 256.

<sup>126</sup> . عيون أخبار الرضا / للصدوق 2:145.

<sup>127</sup> . نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة / للمحمودي 3:28.

القرآن الصامت كما في حديث النبي (صلى الله عليه و آله): «علي مع القرآن والقرآن مع علي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»<sup>128</sup>.

في المقطع الأول من خطبة الإمام (عليه السلام) يشير إلى ما ذكره الله تعالى في سورة الكهف: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا)<sup>129</sup>. وفي المقطع الثاني أشار (عليه السلام) إلى قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتْرِيذُ الْمُحْسِنِينَ \* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)<sup>130</sup>. ونظير هذا المعنى جاء في سورة الأعراف في الآية (161-162).

وفي المقطع الثالث يأمر الإمام (عليه السلام) الناس بما أمر الله تعالى به في سورة البقرة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ \* فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)<sup>131</sup>.

وما أروع الأسرار العجيبة الكامنة في هذا الترابط الوثيق بين الآيات السابقة وكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومنها:

1 – هناك أوجه شبه بين الأمم السابقة وهذه الأمة، وأن ما حصل فيها يحصل في هذه الأمة كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ)<sup>132</sup>.

قال (عليه السلام): لتركبن سنن من كان قبلكم من الأولين وأحوالهم<sup>133</sup>.  
2 – كما كان الكهف لأصحاب الكهف ملاذاً لهم وأمنة من شياطين الجن والإنس كذلك أهل البيت (عليهم السلام) هم الملاذ والأمن لهذه الأمة من الوقوع في حبال الشيطان ووساوس النفس الأمارة بالسوء وإتباع الهوى.

3 – إنَّ عبادة الله حق عبادته وتوحيده تعالى لا يكون إلا بدخول كهف أهل البيت (عليهم السلام) وبخلافه يكون الكفر والضلال والحيرة ويعضد هذا المعنى ماورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) بإسناده عن بريد قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «بنا عبدالله، وبنا عرف الله، وبنا وحد الله، ومحمد صلى الله عليه و آله حجاب الله»<sup>134</sup>.

4 – أهل البيت (عليهم السلام) هم محط رحمة الله عز و جل وبهم ينزل الله بركاته على عباده.  
5 – إنَّ الانصراف عن خط أهل البيت (عليهم السلام) يعني إتباع لخطوات الشيطان وهذا ما يوجب وقوع الشقاء والعذاب في الدنيا والآخرة.

6 – السلم والسلام لا يمكن أن يتحققا بعيداً عن أهل البيت النبوة (عليهم السلام).

<sup>128</sup> . تاريخ الخلفاء / للسيوطي: 173، مجمع الزوائد / للهيثمي 9:134، الصواعق / لابن حجر، 9:124-126.

<sup>129</sup> . سورة الكهف، الآية: 16.

<sup>130</sup> . سورة البقرة، الآية: 58 و 59.

<sup>131</sup> . سورة البقرة، الآية: 208 و 209.

<sup>132</sup> . سورة الانشقاق، الآية: 19.

<sup>133</sup> . تفسير الميزان / للطباطبائي 10:276.

<sup>134</sup> . البحار / للمجلسي 23:102، نقلاً عن بصائر الدرجات: 19.

(23) - «من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله و أهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام إصلاته بسيفه، فإن لكل شيء مدة وأجلاً»<sup>135</sup>.

والمعنى أن من مات على فراشه وهو مذعن بتوحيد الله عز و جل ورسالة رسوله (صلى الله عليه و آله) ومعتقداً بإمامة أهل بيته (عليهم السلام) فسينال درجة الشهداء ويفوز بثواب السعداء ويستحق الأجر على نيته كما كان يريد الإتيان به من العمل الصالح.

جاء في بحار الأنوار: قال له (عليه السلام) بعض أصحابه: وددت أن أخي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك - بعد انتصار الإمام في صفين - فقال (عليه السلام): «أهوى أخيك معنا؟» فقال: نعم، قال (عليه السلام): «فقد شهدنا ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان، ويقوى بهم الإيمان»<sup>136</sup>.

وفي هذا المورد ما جاء عن جابر بن عبدالله الأنصاري في زيارته لشهداء كربلاء عندما قال: أشهد أنا شاركناكم فيما دخلتم فيه، وعندما سأله غلامه عطية العوفي: وكيف شاركناهم ونحن لم نعلو جبلاً ولم نهبط وادياً ولم نضرب بسيف ولم نطعن برمح والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم و أوتمت أولادهم ورملت نساؤهم؟ فأجابه جابر: لقد سمعت حبيبي رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: «من أحب قوماً حشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم»، والله يعلم أن نيتي ونية أصحابي كانت على ما مضى عليه الحسين وأصحاب الحسين (عليهم السلام).

ومما يتبين لنا من الاستدلال من كلام علي (عليه السلام) مايلي:

1 - إن الدين الإسلامي هو دين المعرفة وهذا ما أكدته الروايات الشريفة ومنها ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما قال: «إول الدين معرفته»<sup>137</sup>. أي معرفة الله عز و جل.

وكذلك ما جاء عنه (عليه السلام) عندما قال: «يا كميل ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة»<sup>138</sup>. وما جاء في الدعاء في زمن الغيبة مصداق لما تحدث عنه الإمام (عليه السلام) من المعرفة بحق الله تعالى ورسوله وأهل بيته - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - : «اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرفني رسولك فإنك أن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك أن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني، اللهم لا تمتني ميتة جاهلية ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني»<sup>139</sup>.

ومن هذا المنطلق نستدل على أن الضلال هو في الجهل بإمام الزمان الذي يمثل الصراط المستقيم الذي يوصل العبد إلى غايته وهي مرضاة الله تبارك وتعالى وهو أقصر الطرق للوصول إلى هذه الغاية كما هو ثابت علمياً أن الخط المستقيم هو أقصر الطرق للوصول إلى الهدف. وما يؤكد هذا المعنى ما جاء بإسناده عن

<sup>135</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 13:111، خطبة 236.

<sup>136</sup> . البحار / للمجلسي 32:245.

<sup>137</sup> . نهج البلاغة 1:39.

<sup>138</sup> . البحار / للمجلسي 24:267، ب 11.

<sup>139</sup> . مصباح المتجهد: 294.

معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية»<sup>140</sup>.

2 – إنَّ النية مع المعرفة يقومان مقام الفعل ويوجبان تحقق الأجر والثواب. ويعضد هذا المعنى ما ورد بإسناده عن الفضيل قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «من مات وليس له إمام فموته ميتة جاهلية، ولا يغدر الناس حتى يعرفوا إمامهم. ومن مات وهو عارف لإمامه لا يضره تقدم هذا الأمر أو تأخره، ومن مات عارفاً، كان كمن هو مع القائم في فسطاطه»<sup>141</sup>.

(24) – قال (عليه السلام) - بعد أن أقدم أحدهم على الكلام فحصر-: «ألا وإن اللسان بضعة من الإنسان، فلا يسعده القول إذا امتنع، ولا يمهله النطق إذا اتسع وإنا لأمرء الكلام، وفينا تنشبت عروقه، وعلينا تهدلت غصونه»<sup>142</sup>.

«البضعة»: هي القطعة.

و«اللسان»: قطعة من اللحم تملأ تقريباً جميع فضاء الفم تحت الأسنان، وهو آلة النطق التي تفصح عن مكنون ما يحمل الإنسان في داخله من الأفكار والرغبات والنوايا وبالتالي فهو الوسيلة التي من خلالها نستطيع التعرف على الهوية الشخصية لكل إنسان، وبما يحمل من الحسن والقيبح، يقول الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام): «تكلّموا تعرفوا، فإن المرء مخبوء تحت لسانه»<sup>143</sup>.

واتسع اللسان في نطقه أو امتناعه يعود إلى روح الإنسان فهي المسيطر على كل فعاليات البدن ومنها النطق، فهي من تعطي الإيعاز للسان بالنطق في حال دعوتها إلى الكلام.

يقول: (عليه السلام): «وإنا لأمرء الكلام وفينا تنشبت عروقه، وعلينا تهدلت غصونه».

أي تنشبت عروقه (عروق) جمع (عرق) وهو أصل الشيء وأساسه، وتهدلت من مادة (هدل) أي متدلّية أو نازلة ومعلقة.

لقد شبه الإمام (عليه السلام) الكلام بالشجرة ذات الجذور والأغصان ووصفها بأنها متجذرة أصولها فيهم (عليهم السلام) وأغصانها متهدلة عليهم (عليهم السلام)، ومن هنا صاروا أمرء الكلام حقاً ولا يختلف في هذا المعنى الأقربون والأبعدون. وما نهج البلاغة والصحيفة السجادية وخطبتي سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) وخطب الإمام السجاد (عليه السلام) وزينب (عليها السلام) في الكوفة وفي الشام وغيرها إلا شواهد لهذا المعنى و أن تسمية أمرء الكلام لا تليق إلا بأهل هذا البيت الطاهر (عليهم السلام).  
فيما مر بنا نستدل بما يلي:

1 – التأمل في عجيب صنع الله عز و جل من خلال عمل اللسان وكيف يرتب حروف اللغة بحركته بشكل يظهر لنا صورة الباطن وما يحمل الإنسان من هواجس ومن رغبات مادية ومعنوية.

2 – تلاحظ أن هناك ارتباط وثيق بين الجانب الروحي والجانب الجسدي عند الإنسان بحيث أن الروح تتحكم بعمل اللسان فإذا خرجت عند الموت توقف اللسان عن النطق.

<sup>140</sup> . البحار / للمجلسي 78:23.

<sup>141</sup> . البحار / للمجلسي 78:23.

<sup>142</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 12:13، خطبة 228.

<sup>143</sup> شرح النهج / لابن أبي الحديد 19:340 كلمات قصار 398.

- 3 – الحالات النفسية عند الإنسان من الفرح والحزن والهدوء والاضطراب وغيرها له تأثير كبير على الكلام وهذا ما أشار له أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما تحدث عن الامتناع والاتساع.
- 4 – إن المهارة في النطق متفاوتة عند الناس، فكم من الناس من صعد المنبر وتلثم لسانه وتوقف عن الكلام، وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة لأشخاص ارتقوا المنبر وأعيتهم الألفاظ<sup>144</sup>.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- 1 – الإتقان في علوم القرآن / لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ).
- 2 – إحقاق الحق / للقاضي نور الدين المرعشي التستري.
- 3 – الاختصاص / للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان بن عبدالسلام الحارثي العبكري.
- 4 – الاستيعاب / للنمري القرطبي أبو عمر يوسف بن عبدالله (ت 463هـ).
- 5 – أصول الكافي / للشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت 329هـ).
- 6 – الأمالي / للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (ت 381هـ).
- 7 – الإمامة والتبصرة / لأبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت 329هـ).
- 8 – بحار الأنوار / للعلامة المجلسي محمد باقر (ت 1111 هـ).
- 9 – البداية والنهاية / لابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت 774هـ).
- 10 – تاريخ الخلفاء / للسيوطي جلال الدين (ت 911 هـ).
- 11 – تاريخ الطبري / لمحمد بن جرير الطبري (ت 310هـ).
- 12 – تاريخ اليعقوبي / لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت 284هـ).
- 13 – تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت (ت 463هـ).
- 14 – تاريخ دمشق / لابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي (ت 571 هـ).
- 15 – تفسير البرهان / للسيد هاشم البحراني (ت 1109هـ).
- 16 – التفسير الكبير / للفخر الرازي فخر الدين (ت 604هـ).
- 17 – الخصال / للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (ت 381هـ).
- 18 – سفينة البحار / للشيخ القمي عباس (ت 1359هـ).
- 19 – شرح الأخبار / لأبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي.
- 20 – شرح نهج البلاغة / لابن أبي الحديد المعتزلي (ت 656هـ).
- 21 – صحيح ابن حبان / لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت 354هـ).
- 22 – صحيح مسلم / لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت 261هـ).
- 23 – الصواعق المحرقة / لابن حجر الهيتمي (ت 807هـ).
- 24 – عيون أخبار الرضا (عليه السلام) / للشيخ الصدوق (ت 381هـ).
- 25 – الغدير / لشيخ الأميني عبدالحسين (ت 1391هـ).
- 26 – فرائد السمطين / للحموي (ت 722هـ).

<sup>144</sup> . شرح النهج / لابن أبي الحديد 13:13 وما بعدها.

- 27 – فضائل الصحابة / لأحمد بن حنبل (ت 241هـ).
- 28 – كنز العمال / للمتقي الهندي علاء الدين علي بن حسام الدين (ت 975هـ).
- 29 – لسان العرب / جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفرقي المصري (ت 711هـ)، ط. دار الكتب العلمية بيروت.
- 30 – لسان الميزان / لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ).
- 31 – مجمع الزوائد / لابن حجر الهيثي (ت 807هـ).
- 32 – المحاسن / للبرقي أحمد بن محمد بن خالد (ت 274هـ).
- 33 – المستدرک علی الصحیحین / للحاکم النیسابوری محمد بن عبدالله أبو عید (ت 405هـ).
- 34 – مسند أحمد بن حنبل / لأبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت 241هـ).
- 35 – مصباح المتهجد / للشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسين (ت 460هـ).
- 36 – المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، ط 2/ 1973م، القاهرة.
- 37 – مناقب الخوارزمي الموفق أحمد بن محمد المكي (ت 568هـ).
- 38 – مناقب علي بن أبي طالب / لابن المغازلي الشافعي (ت 483هـ).
- 39 – مواهب الرحمن في تفسير القرآن / للسيد عبدالأعلى السبزواري (ت 1414هـ).
- 40 – ميزان الاعتدال في نقد الرجال / للذهبي شمس الدين (ت 748هـ).
- 41 – الميزان في تفسير القرآن / للعلامة الطباطبائي (ت 1402هـ).
- 42 – نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة / لمكارم شيرازي.
- 43 – نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة / للمحمودي.
- 44 – نهج الصباغة في شرح نهج البلاغة / للشيخ محمد تقي التستري.
- 45 – نور الثقلين / للعروسي الحويزي الشيخ عبد علي بن جمعة (ت 1112هـ).